بسم الله الرحمن الرحيم

وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ
إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم
مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ
﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾
وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا
هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
* احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الصّافّات

سورة الصافات مكيّة وآياتها ثنتان وثمانون ومائة آية.

[١-٢-٣-٤] أقسم جل وعلا في بداية هذه السورة ببعض الملائكة فقال: أُقْسِمُ بالملائكة التي تَصُفُّ في عبادتها وطاعتها عند ربها في صفوف منتظمة كصفوف المصلين. وَأُقْسِمُ بالملائكة التي تزجر السحاب لكي ينزل الغيث حيث يؤمر. وَأُقْسِمُ بالملائكة التي تسبح وتتلوا آيات الله دومًا ولا تفتر. أن ربكم أيها الناس إله واحد لا شريك له، فأخلصوا له العبادة واتركوا هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها من دونه. والله سبحانه له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بأحد غير الله، لأن الحلف بغير الله شرك، وهو من الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة، ولكن الحالف على خطر عظيم.

[٥] واعلموا أيها الناس أن هذا الإله هو خالق هذه السماوات والأرض، وخالق ما بينهما، وخالق مشارق الشمس ومغاربها؛ فهو مالك الجميع وسيده، وجمع سبحانه المشارق لأن الشمس تشرق وتغرب في كل يوم في مكان غير مكان الأمس، يعني: أن الشمس لها كل يوم مشرق ومغرب.

[٦-٧] ثم أخبر جل وعلا أنه زين السماء الدنيا التي هي أقرب السماوات للأرض بهذه النجوم التي جعلها تضيء وتتلألأ في الليل، لكي تهتدون بها في سيركم من مكان إلى مكان، ثم أخبر سبحانه أنه حفظ هذه السماء من كل شيطان متمرد بعيد عن طاعة الله ورحمته، ولهذا فإن هذه النجوم تنطلق منها النيازك والشهب التي يُرمى بها مسترق الوحي.

[٨-٩] وهذه الشياطين التي تحاول استراق السمع في السماء، فإنهم يُرمَوْن ويُقذَفون بالشهب الحارقة من كل جانب من جوانب السماء. ثم بين سبحانه أن هذه الشياطين تُقْذَفُ بهذه الشهب لتدحرهم وتهزمهم وتحرقهم، ولهم في الآخرة عذابٌ دائمٌ موجعٌ ينتظرهم.

[١٠] أما الشياطين التي تتمكن من خطف خبر من كلام الملائكة فإنه يتبعها شهاب ثاقب مهلك، وربما ألقىٰ الجني الخبر الذي أختطفه علىٰ جني آخر قبل أن يهلكه الشهاب، ثم يصل الخبر إلىٰ الكهنة الذين يزيدون عليه ما يشاءون حسب حدسهم. وهذا الشِّهاب هو شعلة من نار تنفصل من النجم لملاحقة مردة الجن الذين تمردوا علىٰ طاعة الله وأصبحوا يتعاونون مع الكهان والسحرة.

[١١] وإذا كان يانبي الله كل شيء يشهد بوحدانية الله وقدرته؛ فاسأل هؤلاء المنكرين للبعث: هل أجسامهم أشد وأقوىٰ من هذه المخلوقات التي خلقها الله؟ ثم أَخْبِرْهُم أن الله خلق أباهم آدم من طين لزج يلتصق بعضه ببعض، وهذا دليل علىٰ قدرته وعلىٰ ضعفهم، فلماذا يستنكرون إعادة خلقهم؟.

[١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧] بل عجبتَ يانبي الله من تكذيب قومك بالبعث، فأعجب من ذلك أنهم يسخرون ويستهزؤون بك وبما تخبرهم به من البعث والنشور، وإذا ذكَّرتهم ووعظْتَهم فإنهم لا تنفع فيهم الذكرىٰ، ولا هم يتعظون، وإذا شاهدوا آيةً ومعجزةً تدل علىٰ صدقك؛ أخذوا يسخرون ويستهزؤون. ثم قالوا في معاندةٍ ومكابرة للحق: ما هذا الذي جئتَ به يامحمد إلا سحرٌ بيِّنٌ ظاهر، ثم يقولون مكذبين مستبعدين للبعث والنشور: أئذا متنا وتحللت أجسادنا وصرنا عظامًا باليةً أإنا لمبعوثون مرةً أخرىٰ؟!، وأيْضًا سيُبعَث آباؤنا الذين ماتوا من قبلنا؟!

[١٨-١٩] فقل لهم يانبي الله: نعم ستبعثون بعد موتكم مرة أخرىٰ وأنتم أذلاء صاغرون، واعلموا أن هذا البعث الذي تستبعدونه لا يحتاج من الله جل وعلا إلا نفخة واحدة فإذا أنتم قائمون تنظرون لما حولكم في ذهول وانبهار.

[٢٠-٢١] وحينئذ يحصل لهؤلاء المنكرين الويل والثبور ويقولون: ياهلاكنا، إن هذا هو يوم البعث والنشور حقيقةً!!، فيقال لهم: هذا يوم الفصل الذي يفصل الله تعالىٰ فيه بين عباده، هذا يوم البعث الذي كنتم به تكذبون، وإياه تنكرون.

[٢٢-٢٣] ثم يأمر جل وعلا الملائكة أن يجمعوا الذين كفروا مع أشباههم وأشكالهم ونظرائهم؛ فعابد الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني، واليهودي الذي يزعم أن عزيرًا ابن الله مع اليهودي، والنصراني الذي يزعم أن عيسىٰ ابن الله مع النصراني، وهكذا، ويجمعوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ثم يأمر الملائكة بأن يعرفوهم ويلزموهم بطريق جنهم التي سوف يساقون إليها بشدة وعنف.

[٢٤] ثم يأمر جل وعلا الملائكة بأن يوقفوا هؤلاء الكفار قبل أن يُدخلوهم النار، لأنهم سوف يسألون سؤال تبكيتٍ وتقريعٍ وإهانة عما كانوا يفترونه في الدنيا.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

[٢٥-٢٦] ثم يقال لهؤلاء الكفار على سبيل التوبيخ: لماذا لا ينصر بعضكم بعضًا؟ كما كنتم في الدنيا تتناصرون، بل إنكم أيها المجرمون اليوم أذلاء خاضعون عاجزون عن نصرة أنفسكم، وإنكم منقادون لأمر الله لا تحيدون عنه أبدًا.

[٢٧-٢٨] ثم أقبل هؤلاء الكفرة والمنافقون والعصاة على بعضهم البعض يتلاومون ويتخاصمون، ويعاتب كل منهم الآخر؛ فيقول الأتباع للمتبوعين معاتبين لهم: إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي نأمنكم فيها وتوهموننا وتقنعوننا أن الحق معكم، وكنتم تنفروننا عن الدين وتزينون لنا الضلال فصدقناكم.

[٢٩-٣٠] فيرد المتبوعون على الأتباع قائلين لهم: ليس الأمر كما تزعمون؛ بل أنتم الذين كنتم تكرهون الإيمان وتحبون الكفر والعصيان. ولم يكن لنا عليكم من حجة أو قوة فنأمركم بالكفر والضلال، بل كنتم قومًا فيكم فجور وطغيان وبعد كبير عن الإيمان والحق.

[٣١-٣٢] ثم يقول الأتباع والمتبوعون: لقد حق علينا جميعًا عذاب الله وسخطه، وإنا وإياكم لذائقون هذا العذاب. نعم نحن أغويناكم وأضللناكم عن طريق الحق والرشاد؛ لأننا كنا قبلكم قد غوينا وضللنا الطريق المستقيم.

[٣٣-٣٤-٣٥-٣٦] وبعد هذا الجدال والخصام يخبر جل علا أن الأتباع والمتبوعين يوم القيامة في عذاب جهنم مشتركون، وهذا هو جزاء المجرمين المجاوزين حدودَهم. ثم يخبر جل في علاه أن من جرائم هؤلاء المعذَّبين: أنهم كانوا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله؛ كانوا يستكبرون عليها، وعلى من جاء بها. ثم يقولون في كبرياء: أنترك آلهتنا التي نعبدها لأجل زعم رجل شاعرٍ مجنونٍ لا يدري ما يقول؟!! يقصدون بذلك رسولنا ﷺ.

[٣٧-٣٨-٣٩] لكن اعلموا أيها الكافرون أن نبينا ﷺ قد جاء بالحقّ، وصدَّق جميع المرسلين، وكانت دعوة الجميع إلى: لا إله إلا الله. ثم اعلموا أنكم -أيها المكذبون المستهزؤون- لذائقوا العذاب الأليم الموجع، وذلك بسبب ما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب والاستهزاء والافتراء والظلم والمعاصي.

[٤٠-٤١-٤٢-٤٣] أما عباد الله المخلصون المكرمون الذين أخلصوا دينهم لله، فإنهم لا يذوقون هذا العذاب الأليم، بل لهم رزقٌ عظيمٌ معلومٌ غير منقطع، ولهم فواكه طيبةٌ الطعم والشكل؛ تتفكَّه بها نفوسهم، ويكونون في جنات النعيم ينعّمون وهم في غاية الإكرام والتعظيم والإجلال والوقار.

[٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩] ومن كرامة الله لهم في جنات النعيم: أنهم يكونون على مجالس مرتفعة مزينة بكل ما هو فاخر، متقابلين فيما بينهم ينظر بعضهم إلى بعض، ويأنس بعضهم ببعض.

ومن كرامتهم: أنهم يُطاف عليهم بكأس من نهر الخمر الجاري في الجنة الذي لا ينقطع ولا ينفد، وهي غير خمر الدنيا، بيضاء اللون، يتلذذ بها شاربها أيَّما لذَّة، وليس فيها من الآفات مثل ما هو موجودٌ في خمر الدنيا، فخمر الجنة لا تُذهبُ العقلَ ولا تضره، ولا صُداع فيها ولا كدر. وعندهم من النعيم أيضًا: نساءٌ جميلاتٌ حِسانٌ، من صفاتهنَّ: أنهن قاصرات الطرف على أزواجهن لا ينظرن لغير أزواجهنَّ، وأعينهن واسعاتٌ جميلاتٌ، من جمالهنَّ وصيانتهن كأنهن ناصعات في البياض ناعمات الملمس لم ينالهن غبارٌ ولا أذى.

[٥٠] ثم أخبر جل وعلا عن حديث أهل الجنة حيث يقبل بعضهم على بعضٍ يتحدثون ويتسامرون، ويتذكرون أحداث الدنيا، ونعمة الله عليهم في إنجائهم من النار ودخولهم الجنة.

[٥١] وفي أثناء حديث أهل الجنة بعضهم لبعض واستمتاعهم بالشراب والنعيم الذي لم تر عين في الدنيا مثله، قال أحد المنعمين لمن معه: اسمعوا يا إخواني لقد كان لي صاحب في الدنيا ملازم لي ويجلس معي دائمًا.

يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

[٥٢-٥٣] ثم قال هذا المنعم: وقد كان هذا الصاحب يقول علىٰ سبيل السخرية والإنكار: هل تصدق بما يقوله الرسول ﷺ وأصحابه من الرسل والأنبياء، من أننا إذا متنا وتمزقت أجسادنا وصارت ترابًا وعظامًا فإن الله سوف يبعثنا ويعيد خلقنا، ثم يحاسبنا علىٰ أعمالنا ويجازينا عليها، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر؟ وقصده من هذا الكلام إنكار البعث.

[٥٤-٥٥-٥٦-٥٧] وفي أثناء حديثهم طلب من أصحابه الذين معه في الجنة أن ينظروا معه إلىٰ مصير صاحبه حيث رآه في وسط النار، ثم لامه وبكته علىٰ ظنه السيِّئ بالله، وقال له: لقد كدت أن تهلكني، ولولا أن منَّ الله عليَّ بنعمته وفضله، وثبتني علىٰ الحق، فلم أنخدع بالباطل الذي كنت تدعوني إليه؛ لكنت اليوم من الذين نالهم العذاب، وكنت معك في هذا المصير المؤلم الذي نالك بسبب كفرك وإنكارك.

[٥٨-٥٩] ثم يقول هذا المؤمن مبتهجًا بنعمة الله عليه وعلىٰ أهل الجنة، وساخرًا من صاحبه الكافر الذي يعذب في النار: هل نحنُ حقًّا مخلدون في هذا النعيم؟!، وأنه لن يدركنا الموت بعد موتتنا الأولىٰ في الدنيا؟! وأنه لن يمسنا العذاب بعد ذلك؟! فالحمد لله رب العالمين علىٰ هذا النعيم المقيم.

[٦٠-٦١] ثم يقول فرحًا مسرورًا: اعلموا أن ما نحن فيه من النعيم المقيم لهو الفوز الحقيقي والظفر العظيم. ولمثل هذا المصير وهذا الفوز فليعمل العاملون وليجتهد المجتهدون في الدنيا.

[٦٢-٦٣] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يسأل هؤلاء الكافرين: هل هذا النعيم الذي يتنعم به أهل الجنة خير، أم شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة التي هي طعام أهل النار؟! ثم بين جل في علاه بأن هذه الشجرة جعلها محنة وابتلاء وعذابًا لهؤلاء الكفار الظالمين؛ لأنهم أنكروا قدرة الله أن يُخرج في وسط النار شجرة؛ فسبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٦٤-٦٥-٦٦-٦٧] ثم أخبر جل وعلا أن هذه الشجرة تنبت في وسط النار، وأن ثمرها في غاية القبح حتىٰ لكأنه رؤوس الشياطين، ثم أخبر جل في علاه تهكمًا بأهل النار أن طعامهم سيكون من هذه الشجرة التي من شدة الجوع يضطرون للأكل منها حتىٰ تمتلىء بطونهم، ثم بعد ذلك يشربون في إثرها ماءً حارًّا وخليطًا قبيحًا.

[٦٨] ثم أخبر جل وعلا أن مصير هؤلاء الكفار ومقرهم الدائم هو الجحيم التي يعادون إليه بعد أن يملؤوا بطونهم من هذه الشجرة ويشربوا من هذا الحميم.

[٦٩-٧٠] ثم بين جل وعلا أن هؤلاء الكفار لم يكن ضلالهم في وقت الدعوة، وإنما كان آباؤهم ضالين فهم علىٰ آثارهم مسرعون في التقليد والمتابعة، والتصميم علىٰ ما كانوا عليه من الكفر والضلال، ومحاربة الدعاة لتوحيد الله.

[٧١] ثم ذكر جل وعلا أن قومك يانبي الله لم يكونوا بدعًا من الناس فقد ضل قبلهم أكثر الأمم السابقة التي أرسل سبحانه إليهم من يدعوهم إلىٰ الإيمان والتوحيد.

[٧٢-٧٣] ثم أخبر جل وعلا أنه أرسل في تلك الأمم السابقة منذِرين يُنذرونهم ويحذرونهم من الشرك والغي والضلال، فلم يستجيبوا لهم، ولم يرفعوا بهم رأسًا، فتأمل يانبي الله كيف كان مصير وعاقبة هؤلاء الذين أنذرتهم الرسل، فلم يستجيبوا!

[٧٤] ثم استثنىٰ جل وعلا من العذاب والدمار عباد الله المخلصين الذين وفقهم الله للعمل الصالح وأخلصوا لله؛ فنجوا من الإهلاك والنار. وفي هذه الآيات والأحداث وتفاصيلها تسلية للرسول ﷺ.

[٧٥-٧٦] يخبر جل وعلا عن أول الرسل وهو نوح عليه السلام أنه دعا الله أن يدمر قومه الكافرين وأن لا يبقي منهم أحدًا؛ لأنه دعاهم زمنًا طويلًا فلم يستجب منهم إلا القليل؛ فأجاب الله دعاءه، ونجَّاه وأهله ومن آمن معه من الغرق بالطوفان العظيم الذي عم الكائنات الحية في وقته، وكان دعاؤه عليهم بعد أن قال الله له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦].

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ
إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ
ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

[٧٧] ثم أخبر سبحانه أنه جعل ذرية نوح هم الباقين؛ لأن الهلاك عم سكان الأرض ما عدا نوحًا وذريته، وأما من ركب معه من المؤمنين، قيل: إنهم ماتوا جميعًا ولم يخلفوا ذرية. [٧٨] ثم أخبر جل وعلا أنه أبقىٰ لنوح ذكرًا وثناءً حسنًا فيمن جاء بعده من الأمم. [٧٩] ثم قال سبحانه: فسلام وثناءٌ علىٰ نوح في الأولين والآخرين. [٨٠] ثم أخبر سبحانه أنه بمثل رفعةِ وجزاء نوح نجزي كل من أحسن في إيمانه وتقواه، وفي هذا بشارة للمؤمنين.

[٨١] ثم أخبر سبحانه أن نوحًا من عباد الله المؤمنين إيمانًا كاملًا تامًّا.

[٨٢] ثم أخبر جل وعلا أنه أغرق المكذبين المستهزئين من قوم نوح؛ حيث أغرقهم وأهلكهم بالطوفان، فلم يُبقِ منهم أحدًا. [٨٣] ثم ذكر جل وعلا أن ممن سار سيرة نوح وسلك مسلكه في الاستقامة والدعوة هو إبراهيم؛ لأنه سار علىٰ ملته ونهجه وطريقته في النبوة، وأيضًا فإن إبراهيم جاهد قومه ولاقىٰ من صنوف العذاب والأذىٰ الذي لاقاه نوح فصبر كما صبر نوح. [٨٤] واذكر يانبي الله حين جاء إبراهيم ربه بقلب سليم خالٍ من كل شرك وشك، محذرًا قومه مما هم فيه من الشرك والضلال. [٨٥] واذكر يوم أن قال لأبيه وقومه متعجِّبًا مُنكِرًا عليهم: ما هذا الذي تعبدونه من دون الله، وتصرفون له العبادة؟! [٨٦] ولما رأىٰ إبراهيم تعلق قومه بالكواكب والأصنام قال مستنكرًا عليهم: أتلجؤون لهذه الآلهة فتعبدونها من دون الله، وترجون منها الخير والشفاعة، وتتركون عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، المستحق للعبادة وحده لا شريك له. [٨٧] ثم قال لهم مستنكرًا ومحذرًا من سوء العاقبة إذا استمروا علىٰ هذا الكفر والضلال: فما ظنكم بالله رب العالمين أن يفعل بكم إذا صرفتم العبادة لغيره؟ لا شك أنه سيحاسبكم حسابًا عسيرًا، ويعذبكم عذابًا أليمًا. [٨٨] ثم إن إبراهيم نظر في النجوم نظرة موهمًا إياهم أن لها تأثيرًا كما هو اعتقادهم، وكان حينها يتفكر كيف يعتذر عن الخروج معهم إلىٰ عيدهم؛ حيث دعوه للخروج معهم، وذلك ليخلو بالأصنام ويحطمها. [٨٩] ثم التفت إليهم وقال لهم: إني مريض ولا أستطيع أن أصحبكم، وهذا من باب التعريض وليس من باب الكذب. [٩٠] ثم بين سبحانه أنهم تركوه لوحده وخرجوا إلىٰ عيدهم. [٩١] ثم إن إبراهيم أخذ الفأس وذهب مسرعًا إلىٰ أصنامهم وآلهتهم وأخذ يقول لها: ألا تأكلين أيتها الأصنام من هذا الطعام.

[٩٢] ثم قال لها: لماذا لا تنطقون وتجيبون علىٰ سؤالي؟، وهو يعلم أنها جمادات لا تجيب، لكنه قال ذلك سخرية بفعل قومه.

[٩٣] ثم أقبل علىٰ آلهتهم وأخذ يحطمها بيده، ولم يُبْقِ إلا أكبرهم؛ ليثبت لقومه أنها لا تدافع عن أنفسها فضلًا عن غيرها، وأنهم أخطأوا في عبادتها، وأنها لو كانت آلهة لما رضي كبيرهم أن يزاحمه في العبادة أحد ولحطَّمها. [٩٤] ولما رجع قوم إبراهيم من رحلتهم ووجدوا أصنامهم قد تَكَسَّرَتْ؛ هالهم ما رأوا؛ وأقبلوا يسأل بعضهم بعضًا: من حطم آلهتنا؟، فقال أحدهم إنه سمع إبراهيم يهدد بكيدها، فذهبوا إلىٰ إبراهيم مسرعين غاضبين، وقالوا: ويحك كيف فعلت هذا بآلهتنا؟، فقال لهم بتهكم واستنكار: لقد غضب كبيرهم فحطمها، فاسألوهم إن كانوا ينطقون. [٩٥] ثم قال لهم: هل تعبدون أصنامًا تصنعونها بأيديكم وتنحتونها من الحجارة؟. [٩٦] ثم قال لهم: وتتركون عبادة الله الذي خلقكم وخلق أعمالكم؟! [٩٧] فلما حجَّهم إبراهيم وغلبهم؛ قال بعضهم لبعض: ابنوا له بنيانًا عاليًا مرتفعًا، وأوقدوا فيه نارًا عظيمةً واطرحوا إبراهيم فيها. [٩٨] وأرادوا بهذا الفعل إيقاع الشرِّ والهلاك به؛ فردَّ الله كيدهم في نحورهم، ونجاه من النار، وجعل أمر قومه في الأذلين. [٩٩] وبعد أن نجىٰ الله إبراهيم من كيد الأعداء، فإذا بأبيه يهدده بالرجم بالحجارة إذا لم ينته عن هذا المسلك، عندها قال إبراهيم: إني مهاجر من بلد قومي إلىٰ حيث يأمرني ربي لإقامة شعائر ديني بكل حرية، وسوف يهديني ربي إلىٰ ما فيه صلاح ديني ودنياي، فكان أن هداه الله إلىٰ بلاد الشام، تلك الأرض المباركة.

[١٠٠] وحيث إن إبراهيم كان وحيدًا وليس عنده من يؤنسه من الأولاد؛ دعا الله أن يرزقه ولدًا صالحًا يستعين به علىٰ نشر دين الله. [١٠١] فاستجاب الله له ورزقه ولدًا متصفًا بالحلم ومكارم الأخلاق، حيث رزقه بإسماعيل عليه وعلىٰ أبيه السلام. [١٠٢] وعندما شب إسماعيل وصار عونًا لأبيه، قال له أبوه: يابني لقد رأيت في المنام أني أذبحك فما رأيك؟ ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق، وكان إسماعيل عالمًا بشدة حب أبيه له، ولكن أمر الله لابد أن يتم؛ فقال إسماعيل: ياأبت افعل ما أمرك الله به ولا تتردد، وستجدني إن شاء الله صابرًا محتسبًا. قال ابن القيم: ولا شك أن الله عز وجل لم يرد قتل إسماعيل، وإنما أراد أن يذبح التعلق بغيره؛ حيث إن إبراهيم رُزِقَ بإسماعيل علىٰ كبر فتعلق به، أي: استولىٰ علىٰ مشاعره، وهذا ينافي الخلة التي منحها الله لإبراهيم.

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤
قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ
هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ
بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣ وَلَقَدۡ مَنَنَّا
عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ
ٱلۡعَظِيمِ ١١٥ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا
ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ
١١٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا
مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٢ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦

[١٠٣] فلما أسلم إبراهيم وإسماعيل أمرهما إلىٰ الله، واستسلما لما أمرهما به، وألقىٰ إبراهيمُ عليه السلام إسماعيلَ علىٰ جبينه ليُضجعه ويذبحه، وهوىٰ بالسكين فوجدها لا تذبح، فأدركته رحمة الله بأن فداه بذبح عظيم من الغنم.

[١٠٤-١٠٥] ثم إن الله عز وجل نادىٰ إبراهيم عليه السلام. وقال له: لقد صدَّقت الرؤيا ياإبراهيم، وبادرتَ إلىٰ فعل ما أُمرتَ به مع شدته، فقد فرَّجنا عنك ولطفنا بك، وكذلك نجزي كل من أحسن وبادر إلىٰ ما أمرناه به، ولو وجد في ذلك مشقَّةً وصعوبة.

[١٠٦] ثم وصف سبحانه الأمر بذبح إبراهيم لابنه أنه من الامتحان العظيم، والذي لا يحتمله إلا أصحاب العزائم العالية، وقد نجح عليه السلام في الامتحان، ولهذا استحق الكرامة العظمىٰ والخلة، وجعل الأنبياء بعده من ذريته وأحفاده. [١٠٧] ومن مظاهر فضل الله علىٰ هذين النبيين أنه امتن عليهما بأن فدىٰ إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم من الغنم، ذُبِحَ بَدَلًا عنه.

[١٠٨-١٠٩] ثم أخبر جل وعلا أنه أبقىٰ لإبراهيم ذكرًا وثناءً حسنًا فيمن جاء بعده من الأمم. فسلام وثناءٌ علىٰ إبراهيم في الأولين والآخرين.

[١١٠] ثم أخبر سبحانه أنه بمثل رفعةِ وجزاء إبراهيم نجزي كل من أحسن في إيمانه وتقواه، وفي هذا بشارة للمؤمنين.

[١١١] وأخبر سبحانه أن إبراهيمَ من عباد الله المؤمنين إيمانًا كاملًا تامًّا.

[١١٢] ثم إن الله جل وعلا أتم نعمته علىٰ إبراهيم فبشره بمولود آخر وهو إسحاق عليه السلام، وجعله نبيًّا من الصالحين، وبارك سبحانه عليهما وعلىٰ الصالح من ذريتهما.

[١١٣] ثم أخبر سبحانه أن من ذرية إبراهيم وإسحاق من هو محسن لنفسه بالطاعة والإيمان، ومن هو ظالم لها بالكفر والعصيان.

وقد استدل الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله وأكثر المفسرين بذكر إسحاق بعد قصة الذبيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، أما قوله ﷺ: «**أنا ابن الذبيحين**»؛ فهو حديث ضعيف[1]، واسحاق هو والد يعقوب عليه السلام الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل.

[١١٤] يخبر جل وعلا أنه امتن علىٰ موسىٰ وهارون أن أنعم عليهما بنعم عظيمة، ومن أعظم هذه النعم نعمة النبوة والرسالة.

والمنان اسم من أسماء الله، والمَنُّ صفة، تعني: أنه الذي يعطي ابتداءً من غير سؤال، وهي بالنسبة لله صفة مدح يحمد ويشكر عليها

[١١٥] ومن النعم التي امتن الله بها علىٰ موسىٰ وهارون أنه خلصهما وقومهما من الغرق، ومن استعباد فرعون لهم، ومن قتل أطفالهم الذكور، واستحياء البنات لخدمة الأقباط والفراعنة.

[١١٦] ومن مظاهر منة الله علىٰ موسىٰ وهارون نصر الله لهما ولمن آمن بهما، وكانوا بسبب هذا النصر هم الغالبين لأعدائهم.

[١١٧] ثم أخبر جل وعلا أن من مظاهر نعمته علىٰ موسىٰ وهارون أن أنزل عليهما الكتاب البين الواضح.

[١١٨] وهداهما إلىٰ دين الإسلام الدين الحق الذي ابتعث الله به أنبياءه.

[١١٩] ثم أخبر جل وعلا أنه أبقىٰ لموسىٰ وهارون ذكرًا وثناءً حسنًا فيمن جاء بعدهما من الأمم.

[١٢٠] ثم قال سبحانه: فسلام وثناءٌ عليهما في الأولين والآخرين.

[١٢١] ثم بين سبحانه أنه بمثل رفعةِ وجزاء موسىٰ وهارون نجزي كل من أحسن في إيمانه وتقواه، وفي هذا بشارة للمؤمنين.

[١٢٢] ثم بين سبحانه أن موسىٰ وهارون عليهما السلام من عباد الله المؤمنين إيمانًا كاملًا تامًّا.

[١٢٣] ثم أخبر جل وعلا أن عبده إلياس من الذين أكرمهم بالرسالة.

[١٢٤] ثم بين سبحانه أن إلياس قال لقومه: ألا تخافون الله وتتقونه، ولا تشركوا معه أحدًا غيره. وإلياس بن ياسين من أحفاد هارون أخي موسىٰ عليهما السلام، وقد أرسله الله إلىٰ أهل بعلبك، وهي بلدة مشهورة في الشام بهذا الاسم حتىٰ الآن.

[١٢٥] ثم قال إلياس لقومه مبكِّتًا لهم: كيف تعبدون هذا الصنم الذي لا يضر ولا ينفع وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين.

[١٢٦] ثم بين لهم أن الله هو ربكم الذي خلقكم وخلق آباءكم السابقين.

---

(١) قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٦٧٧): لا أصل له.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ
﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ
يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ
﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ
أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا
وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٢٧-١٢٨] واستمر إلياس في دعوة قومه إلىٰ عبادة الله وحده ولكنهم كذبوه؛ فكانت النتيجة أن استحقوا العذاب فنزلت بهم العقوبة في الدنيا، وسيجمعهم الله يوم القيامة فيحاسبهم ثم تكون نهايتهم نار جهنم خالدين فيها وبئس المصير. ثم استثنىٰ جل في علاه عباد الله المخلصين الذين سمعوا النصيحة وأسلموا مع إلياس، وأخلصوا دينهم لله وحده؛ فهؤلاء ناجون من الإحضار للعذاب والنار.

[١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٢] ثم أخبر جل وعلا أنه جعل لإلياس ذِكْرًا حسنًا فيمن جاء بعده من الأمم. فسلام وثناءٌ علىٰ إلياس في الأولين والآخرين، وبمثل رفعةِ وجزاء إلياس نجزي كل من أحسن في إيمانه وتقواه، وفي هذا بشارة للمؤمنين، ثم أخبر سبحانه أن إلياسَ من عبادنا المؤمنين إيمانًا كاملًا تامًّا.

[١٣٣] ثم أخبر جل وعلا أنه اصطفىٰ لوطًا وجعله من عباده المرسلين. ولوط هو ابن أخي إبراهيم (هارون)، وقد نصح قومه وطلب منهم الكف عن الجرائم التي لم يرتكبها أحد قبلهم، ولم يستجيبوا؛ ولم يكتفوا بعصيانه؛ بل هددوه بالإبعاد؛ فنزلت بهم العقوبة وخسف ببلادهم وهي معروفة علىٰ الطريق الذي يمر عليها المسافرون قديمًا في بلاد الشام.

[١٣٤-١٣٥-١٣٦] واذكر يانبي الله يوم أن نجَّىٰ الله لوطًا عليه السلام وأهله أجمعين من العذاب، إلا امرأته العجوز فقد هلكت مع الذين هلكوا، بسبب كفرها وجحودها، ثم أهلك الله بالعقوبة والعذاب الباقينَ من قومه.

[١٣٧-١٣٨] ثم نبه جل شأنه أهل مكة وغيرهم أنهم يمرون في أسفارهم علىٰ منازل قوم لوط صباحًا ومساءً، ويرون كيف أن الله قلبها وجعل عاليها سافلها، وأمطروا بالحجارة التي كانت عذابًا لهم، أفلا تعتبرون أيها الناس بأحوال هذه الأمم، وما حل بهم من دمار وعذاب؛ فتخافون أن يحل بكم ما حل بهم.

[١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٢] ثم أخبر جل وعلا أنه اصطفىٰ يونس وجعله من عباده المرسلين، وهو يونس بن متَّىٰ الذي أرسله الله إلىٰ أهل نينوىٰ، وهي قرية علىٰ شاطئ دجلة في أرض الموصل شمال العراق، وقد دعا قومه للإيمان فكذبوه وآذوه؛ فلما يئس من إيمانهم وأيقن أن العذاب حالٌّ بهم تركهم وهرب ولم ينتظر الأمر من الله؛ فلما وصل إلىٰ البحر وجد سفينة مشحونة بالركاب والدواب فأركبوه معه، ثم اضطرتهم الأمواج إلىٰ تخفيف حمل السفينة؛ فعملوا قرعة فوقعت عليه فرموه في البحر؛ فابتلعه الحوت بسرعة عقوبة منه سبحانه علىٰ فعله هذا لأنه ترك قومه وذهب بدون إذن من الله.

[١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٤٧-١٤٨] ثم أخبر جل وعلا أن يونس كان من المداومين علىٰ العبادة والعمل الصالح قبل أن يلتهمه الحوت، وكان أيضًا مداومًا علىٰ التسبيح بعد أن التقمه؛ ولولا أعماله الصالحة هذه لمكث في بطنه إلىٰ يوم القيامة.

والتسبيح الذي كان مداومًا عليه وهو في بطن الحوت هو قوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧]. وبفضل الله ثم بفضل أعماله الصالحة استجاب الله دعاءه وأمر الحوت بقذفه علىٰ الساحل وهو في حالة مرض شديد بسبب ما لحقه من تعب وأذىٰ وهو في بطن الحوت، وحماية له من الشمس أنبت الله شجرة القرع التي أظلته فصارت كأنها كالعريش فوق رأسه. وبعد أن استعاد يونس صحته أعاد الله إرساله إلىٰ قومه الذين زاد عددهم علىٰ مائة ألف فوجدهم نادمين تائبين؛ فصدقوا به جميعًا وعملوا بما جاء به، ولأجل ذلك متعهم الله في حياتهم الدنيا بأنواع النعم، واستمر في قيادتهم وإرشادهم حتىٰ انتهت آجالهم.

[١٤٩-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣] أمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن يسأل هؤلاء الكفار سؤال توبيخ وتأنيب: بأي حق وبأي وجه جعلوا لله البنات وجعلوا لأنفسهم البنين؟!، وسبب هذا السؤال: أنهم قالوا زورًا وبهتانًا: إن الملائكة بنات الله، ثم أمر نبيه ﷺ أن يسألهم: هل كانوا حاضرين حين خلق الله الملائكة؟ ثم بين سبحانه أن من كذب وافتراء هؤلاء المشركين زعمهم أن لله ولدًا، فليعلموا أنهم كاذبون مفترون في زعمهم هذا. ثم أمر نبيه ﷺ مقرعًا إياهم: هل اختار الله البنات علىٰ البنين الذكور؟!! ومن أين علمتم ذلك أيها المشركون؟!.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾
فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

[١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧] ثم قل لهم يانبي الله: ما الذي جعلكم تحكمون هذا الحكم الجائر؟! أفلا تعقلون وتُميِّزون ما تنطقون به؟! أم لكم حجةٌ قويَّةٌ ظاهرةٌ علىٰ قولكم وافترائكم؟! فإن كنتم صادقين فيما تقولون، ولكم بذلك حجةٌ؛ فأتوا بالكتاب الذي يثبت هذا القول.

[١٥٨-١٥٩] ثم أضاف المشركون جريمة وافتراء آخر علىٰ الله؛ حيث جعلوا بين الجِنَّةِ وبين الله نسبًا، وقد علمت الجِنَّةُ أنهم سيحضرون هم والمشركون للجزاء، وسيقفون بين يدي الله للعرض والحساب. فتعالىٰ الله جل في عُلاه، وتنزَّه وتقدَّسَ عما يصفه به المشركون من أن الملائكة بنات الله.

قال مجاهد: الجن فرع من فروع الملائكة فيحضرون الملائكة ليكذبوهم يوم الحساب.

[١٦٠] ثم استثنىٰ جل وعلا عباد الله المخلَصين المؤمنين لأنهم لا يصفون الله جل في علاه إلا بما يليق بجلاله وعظمته، فيسمونه بما سمىٰ به نفسه، ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

[١٦١-١٦٢-١٦٣] واعلموا أيها المشركون أنكم أنتم والذين تعبدونهم من دون الله من سائر الآلهة الباطلة لا تقدرون أن تفتنوا أحدًا عن دينه، أو توقعوه في الشرك والضلال، إلا من قدَّرنا عليه أن يصْلىٰ الجحيم، ويدخل النار، وهم الذين أصروا علىٰ الكفر والضلال بعد تبليغ الرسل لهم.

[١٦٤-١٦٥-١٦٦] ثم اعترفت الملائكة بطاعتهم الكاملة لله، فقالت: ما منَّا أحدٌ من الملائكة إلا له مقامٌ معلومٌ في عبادة الله وتنفيذ أوامره، وإنَّا جميعًا صافُّون في طاعة الله وعبادته، وإنا جميعًا مسبحون لله، منزهونه عمَّا لا يليق به جل في علاه.

[١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٠] ثم أخبر جل وعلا عن مشركي العرب أنهم كانوا يقولون: لو جاءنا مثل ما جاء الأولين من الرسل والكتب لكنَّا من عباد الله الموحدين إياه، والمخلصين له في العبادة. فلما جاءهم ما تمنوا كفروا به وكذبوه، وجحدوه، فسوف يعلمون عاقبةَ ذلك ومغبّته.

[١٧١-١٧٢-١٧٣] ثم يسلي جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ فيقول: ولقد سبقت كلمتنا - التي لا تتبدل ولا تتخلف - لعبادنا المرسلين، ولأتباعهم، أن النصر والغلبة والفلاح من نصيبهم، وأن جندنا الذين يجاهدون في سبيل الله امتثالًا لأمر الله؛ هم الغالبون الفائزون فوزًا عظيمًا علىٰ كل حال، فإما الفوز بالنصر والتمكين، وإما الفوز بالشهادة التي يقابلون بها ربَّ العالمين.

[١٧٤-١٧٥] ثم يأمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن يعرض عن هؤلاء المكذبين المعاندين مدَّةً محدَّدةً معلومةً، وأن ينظرهُم فسوف يُبصرون ويرون ما يحلُّ بهم من العذاب والهلاك.

[١٧٦-١٧٧] ثم يسأل جل وعلا سؤال توبيخ وتأنيب: أفبعذابنا يستعجل هؤلاء المكذبون المعاندون؟! فإنه إذا نزل بفنائهم وحلَّ بهم؛ فبئس الصباح صباحهم؛ لأنهم كانوا يقولون: يامحمد أرنا العذاب الذي تخوفنا به.

[١٧٨-١٧٩] ثم كرر جل وعلا الآيتين بمثل الآيتين (١٧٤-١٧٥) آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يعرض عن هؤلاء المكذبين المعاندين مدَّةً محدَّدةً معلومةً، وأن ينظرهُم فسوف يُبصرون ويرون ما يحلُّ بهم من العذاب والهلاك، وكان هذا قبل الإذن بالقتال.

[١٨٠-١٨١-١٨٢] وبعد أن ذكر جل وعلا جملة من افتراءات الكفار والمشركين؛ ختم جل في علاه السورة بتنزيه نفسه عمَّا يقوله هؤلاء المفترون عليه؛ فتنزه وتقدس ربك يانبي الله عمَّا يصفه به هؤلاء الجاهلون، وتحية وأمانًا من الله علىٰ عباده المرسلين، والثناء الكامل لله رب العالمين، فهو سبحانه المستحق لذلك وحده لا شريك له.